الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

د. بتول محسنى راد

استاذة مساعدة اللغة العربية وآدابها بجامعة سيستان وبلوشستان،كلية الآداب

مبادئ استخدام المخطوطات الطبية في كتابة المقالات

مقدمة

تُعد المخطوطات الطبية من أعظم الكنوز العلمية والمراجع الموثوقة في تاريخ العلوم، وهي جزء من تراثنا الطبي الإسلامي والثقافي. تحتوي هذه المخطوطات على معرفة مفصلة في علم التشريح والأدوية والعلاجات وأمراض الجسد والعقل، مُقدمة بأسلوب علمي دقيق ومنهجي سابق لعصره. ما يجعل هذه الأعمال فريدة ومتميزة هو الجمع بين الخبرة والملاحظة والتفكير المتزامن من منظور علمي وعملي. كما تساعد دراسة هذه المخطوطات على فهم تطور المفاهيم الطبية وأساليب البحث لدى علماء المسلمين مثل ابن سينا والرازي والزهراوي. لعب هؤلاء العلماء المسلمون دورًا بارزًا في ربط التراث بالممارسات الحديثة وتوفير بدائل طبيعية مستمدة من هذا التراث. إن العناية بهذه المخطوطات - من خلال التحقق والفهرسة والتحليل - ضرورة ثقافية وعلمية للحفاظ على تراث الأمة والاستفادة منه لتطوير المعرفة الطبية المعاصرة.

الركائز المنهجية لاستثمار المخطوطات الطبية في البحث العلمي

إن الاستفادة من النصوص القديمة في كتابة المقالات والأبحاث العلمية تتطلب قدرًا عاليًا من الخبرة والدقة. فالباحث، لكي يتمكن من توظيف هذه المصادر بفاعلية، لا بد أن تتوفر له عدة شروط: أوّلها، الوصول إلى المصادر الأصلية؛ ثانيها، الإلمام الجيد باللغة التي كُتبت بها هذه النصوص؛ وثالثها، التمكّن من الأساليب المقارنة ومعرفة طرق التوثيق العلمي. ذلك أن أي تفسير خاطئ أو تحريف غير مقصود قد يؤدي إلى نتائج سلبية تمسّ الهوية الثقافية وتشوُّه حقائق التاريخ.ولا يخفى أن كثيرًا من العلوم الحديثة التي تُدرس اليوم في الجامعات تعتمد في جوهرها على الأسس التي أرستها العلوم القديمة، والتي تم اختبارها لاحقًا وتأكيدها بصيغ أكثر دقة وثراءً، والعودة إلى النصوص القديمة ليست مجرد عمل علمي، بل هي أيضًا تعبير عن

صلة بالأصالة والجذور، وتعزيز للثقة بالنفس والانتماء الثقافي. ومن خلال هذا التواصل مع التراث، تتعمق قناعات الباحثين والجيل الجديد بقيمة هذا الميراث العلمي والحضاري، وبدوره الفعّال في بناء المستقبل.

أهمية المصادر والمراجع في البحوث الأكاديمية، ودورها في استعادة الهوية الثقافية

تُعدّ المصادر والمراجع بمنزلة الشهود الأساسيين في أيّ بحث علمي، وهي الركيزة التي يقوم عليها صرح الدراسة. فكلّما كانت كمية هذه المصادر وجودتها أكبر، ازدادت قيمة البحث العلمي، وبرزت أهميّته بشكل أوضح. إنّ الرجوع إلى النصوص والمخطوطات القديمة ليس مجرّد منهج علمي، بل هو نوع من العودة إلى الأصالة واستعادة الهوية الثقافية. كما يُعدّ هذا التوجّه نحو التراث وسيلة لتعزيز الثقة بالنفس، وغرس الإيمان بقيمة ما تركه الأسلاف في نفوس الباحثين، خصوصاً من الجيل الجديد. وقد عبّر الشاعر الإيراني الكبير حافظ الشيرازي (لسان الغيب) عن هذه الفكرة بأروع بيان في قوله:

(سال ها دل طلب جام جم از ما می‌کرد وآن‌چه خود داشت ز بیگانه تمنا می‌کرد(دیوان،حافظ شیرازی

سنواتٍ كان القلبُ يطلبُ كأسَ جَمٍّ منّا،"
ويطلبُ من الغريبِ ما كانَ يملكهُ بنفسهِ

فی الواقع كان يسألُ الغريبَ ما هو عندهُ كامنٌ في ذاتهِ

هذا البيت يعبّر بعمق عن المعنى الرمزي للعودة إلى التراث، إذ إنّ كثيراً من الباحثين يغفلون عن الثروة الفكرية في تراثهم، فيطلبون ما عند الآخرين، في حين أنّ الجواهر الحقيقية كامنة في كتب ومخطوطات أمتهم.

مبادئ استخدام النصوص القديمة

أ- إتقان اللغة والخبرة في موضوع البحث

الباحثُ الذي يطمح إلى نقل الأعمال العلمية القديمة إلى الأوساط الأكاديمية والعلمية المعاصرة، وإبراز ما تحويه من قيمة وغنى علمي وفكري، لا بدّ له، إلى جانب قدرته على الوصول إلى أصول المخطوطات وأقدم نسخها، وإتقانه للغة العربية وآدابها، أن يمتلك كفاءات تخصصية متعددة، ومعرفة واسعة تُمكّنه من

تقديم نتائج موثوقة تحظى بقبول علمي رفيع. وإلا فإنّ ما يُقدَّم سيكون إمّا مادةً أرشيفية متحفية، أو منتجاً لا ينتفع به إلا القلّة، وهذا أمر لا يخدم التقدّم المعرفي.ومن المسلَّم به أن الشرط الأول لاستخدام النصوص الطبية القديمة هو الإلمام التام بلغة الضاد وآدابها. فإن كانت اللغة الإنجليزية تُعدّ اليوم لغةَ العلم، فإن العربية كانت تحتلّ هذا الموقع في قرون الازدهار الحضاري الإسلامي، وكانت من أبرز مزايا البحث العلمي آنذاك كتابته بالعربية. وفي هذا السياق، نُقل عن أبي الريحان البيروني، في مقدمة كتابه "الصيدنة" : الهجو بالعربي أحبّ الى من المدح بالفارسية(الصيدنة فى الطب،1992:15).

ب- منهجية التدوين العلمي في التراث الطبي الإسلامي: بين حفظ الأسرار وضبط الكفاءة

إنّ العودة إلى التراث العلمي للأمة الإسلامية تكشف عن فلسفة تربوية عميقة في نقل العلوم، لا سيّما في العلوم الحساسة كعلم الطب. فالكثير من علماء ذلك العصر لم يكونوا يؤلفون كتبهم بهدف التيسير للعامة، بل كانوا يعمدون إلى تسطيرها بأساليب علمية دقيقة، ومصطلحات متخصصة، وأحياناً بأسلوب مقصود من الغموض، وذلك لحماية هذه المعارف من التسرب إلى من لا يستحقها.وكانوا يرون أنّ العلوم لا ينبغي أن تكون مبذولة لمن هبّ ودبّ، خاصة إذا تعلّق الأمر بالطب، لما فيه من خطر على الأرواح والأبدان. ولهذا السبب كانت بعض كتب الطب لا تُفهم إلا من قِبل طبيب خبير ومتمرّس، قضى سنوات طويلة في الدراسة النظرية والتطبيق العملي. وقد جرى تقسيم الطب منذ عهد أبقراط إلى قسمين:

(القسم النظري (العلمي - الفلسفي

هذا القسم يهتم بدراسة طبيعة الجسم البشري، وتوازن الأجسام والسوائل، وتركيبها، وتأثيرها على الصحة والمرض، بالإضافة إلى فهم الأسباب التي تؤدي إلى الأمراض. يُعتبر أبقراط من رواد هذا القسم، حيث قدم نظريته الشهيرة عن الأخلاط الأربعة (الدم، والبلغم، والصفراء، والسوداء) ودوره في التوازن الصحي.

(القسم العملي (التشخيص والعلاج

هذا القسم يهتم بتحديد الأمراض، وتطبيق العلاجات المناسبة، وتوفير الرعاية للمرضى. يركز على الملاحظة، والقياس، والخبرة المكتسبة من التعامل مع الحالات المرضية. ولا يتم الاعتراف بالطبيب إلا إذا أجاد كليهما(الحاوى،1987:27). قال مولانا في مثنوي معنوي ؛الدفتر الرابع:

تيغ دادن در كف زنگى مست به كه آيد علم ناكس را به دست

علم و مال و منصب و جاه و قران فتنه آمد در کف بدگوهران

أن تعطي السيف بيد زنجيّ سكران

خيرٌ من أن تعطي العلم لمن لا يستحقّه
فالعلم والمال والمنصب والجاه والقرآن،
تصبح فتنةً عاتيةً في كفّ ذوي النفوس الرديئة

وقد تجلى هذا الحرص أيضاً في مؤلفات مثل منطق التفتازاني وصمدية الشيخ البهائي، وهي كتب مشهورة بصعوبتها، ولا تُفهم إلا من قِبل من خَبَرَ اللغة والمنطق والبلاغة.إنّ هذا التقليد العلمي، الذي يربط العلم بالتربية والأخلاق، ليس مجرد حكاية من الماضي، بل يحمل رسائل مهمة للحاضر. فالنصوص الطبية القديمة ليست فقط مصادر معرفية، بل هي أيضاً أدوات لصقل عقلية الباحث، وتعويده على الصبر، والدقة، والتوثيق، وهي خصال قلّما تتوفر في بيئات التعليم الحديثة التي تفتقر إلى هذا العمق الفلسفي والتربوي.بالطبع، هذا الأمر ليس دائماً كذلك، فكثير من أقدم المخطوطات لم تُكتب بخطّ المؤلف نفسه، بل جُمعت أو نُسخت بعد وفاته بسنوات طويلة. فعلى سبيل المثال، لم يُعثر حتى الآن على نسخة من كتب ابن سينا بخطّه. وهذا ما يجعل مهمة الباحث في تقييم آراء العلماء السابقين أمراً صعباً ومعقداً.ومثال على ذلك: كتاب "الصيدنة" لأبي الريحان البيروني، الذي نُسخ في سنة 678 هـ على يد غضنفر التبريزي. وقد أشار الناسخ في نهاية مخطوطته إلى أنّ النسخة التي اعتمدها كانت مليئة بالأخطاء، وأنه قضى وقتاً طويلاً في تصحيحها وتنقيحها، وتكبّد في ذلك مشقة كبيرة. كتاب ديسقوريدس من أهم المصادر العلمية التي اعتمد عليها علماء مثل الرازي وابن سينا والبيروني في الطب وعلم النبات والصيدلة التقليدية وعلم الحيوان وعلم السموم. بعد تقييم دقيق من قبل المؤلف الأول، تبين أن النص يحتوي على الكثير من الأخطاء الإملائية والنحوية والتحريفات من البداية إلى النهاية، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

گفتار	واژه نادرست متن اصلی	واژه اصلاح شده معرب	واژه ماخذ
2	اناناللیدهساناغالس	اناغالیس	Anagallis
4	فهلمهننونقلومنون	قلومنون	Klumenon
4	امفهلوس مهلهیا	امفلوس ملانا	Melaina A
4	ایففوفاوسإبوفایس	ایفوفایس	Hippophaes

إغفال وضع النقاط: هذا الأمر حدث بشكل واسع وأدى في بعض الحالات إلى صعوبة في فهم معنى الكلمة أو الجملة. على سبيل المثال، في كثير من المواضع وردت كلمة «خل» بدون نقاط، مع العلم أن كلمة «حل» يمكن أن تعني "السمسم" أو "زيت السمسم" أو حتى "الزئبق". وكذلك وردت كلمة "جبن" مكتوبة كـ"حبن"، والتي يمكن أن تعني الاستسقاء أو "الورم" ومعانٍ متعددة أخرى.

(كتاب الحاوى(أبو بكر محمد بن زكريا الرازي

استغرق هذا الكتاب 15 عامًا من عمر الرازي، وهو نفسه يقول" لقد فقد بصره بسبب تأليف هذا الكتاب". والترجمة اللاتينية لهذا الكتاب في الفاتيكان تقع في 15 مجلدا، إلى جانب كتاب القانون، وكان أهم كتاب طبي في أوروبا حتى القرن العشرين. هذا الكتاب عبارة عن دورة كاملة من المعرفة الطبية حتى زمن الرازي، حيث كتب الرازي أقوال وآراء الأطباء الآخرين وعلق عليها مع وصف الأمراض. يضم "الحاوي" تجارب الرازي الشخصية والسريرية خلال ممارسته الطبية في بغداد، وقد بذل راي الجهد في تجميعها.يوجد في هذا الكتاب مقالات جراحية متنوعة ومنها: أمراض الثدي، وكسور والالتواء في الساق، وأمراض الكلى والمسالك البولية، والبواسير والدوالي، والسرطان، والدمامل والتورمات في الجسم، والعظام الملتوية، وجروح الأعضاء التناسلية والشرج، والعضات. وقد وردت هذه المواضيع في الأجزاء السابع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والتاسع عشر على التوالي.وبحسب بحث الرازي فإن هناك أربعة أنواع من الهضم في جسم الإنسان: الهضم في بيئة المعدة والأمعاء، وهو الهضم على سطح خلايا الجهاز الهضمي والبطانة المخاطية للأمعاء، الثاني الهضم في الكبد، والثالث في الأوردة، والرابع في الأعضاء والخلايا. كل هضم يترك فضلات. فضلات الجهاز الهضمي هي أول فضلات معوية تخرج من جسم الإنسان عبر فتحة البراز. تذهب زوائد الكبد إلى الكلية ، ومن هناك إلى مجرى البول وهو المثانة، وتوجه إلى الخارج عن طريق الأعضاء الذكرية والأنثوية. كما أن الزوائد المتبقية من الأوردة تتبع نفس مسار تضخم الكبد.

.الفائض المتبقي من الهضم الجسدي يفرز العرق مثل الشعر والأظافر

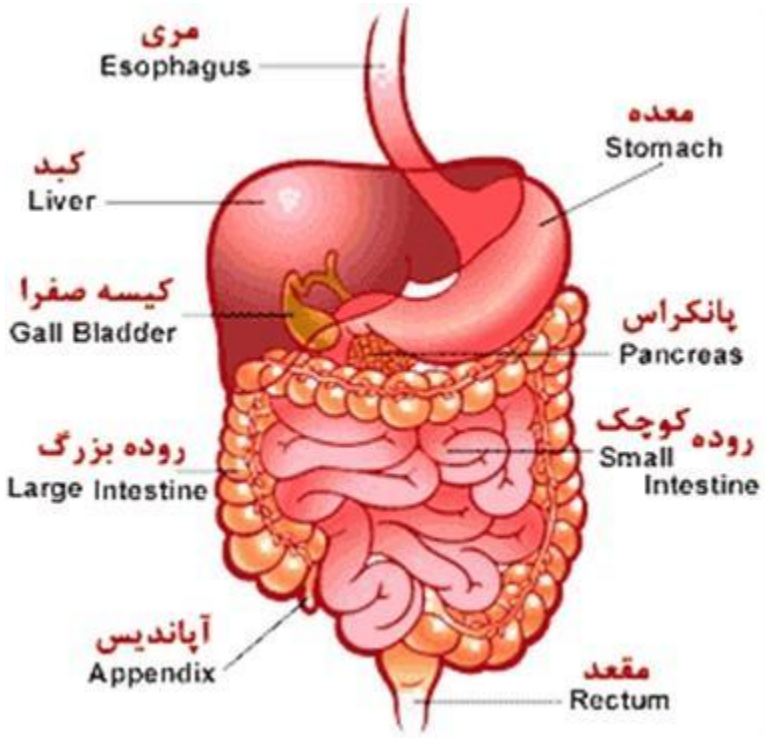

وكان الرازي يعتبر البول كائناً حياً. إنه ينظر بعناية إلى النتائج التي توصل إليها. ويحاول ربط هذه الإنجازات بالنتائج السريرية اليومية التي يحصل عليها أثناء العلاج مع المريض من أجل تشخيص المرض

.بشكل صحيح. ولهذا السبب، فإنه ينتبه ويأمر بإجراء فحص بول المريض يوميًا وأحيانًا كل ساعة

صورة لنسخة من كتاب الحاوي المؤرخ سنة 604 هـ برقم الملكية (4522)المكتبة الوطنية للملك

نتيجة

في نهاية المطاف، يتبيّن أنّ الاستفادة من النصوص القديمة والنادرة في الوقت الحاضر تتطلّب شروطًا علميّة متكاملة. فإلى جانب إلمام الباحث بلغة النص وموضوعه، لا بدّ من الالتزام بمبدأ الأمانة العلميّة والرجوع إلى النسخ الأصليّة أو القريبة منها، مع اعتماد المقارنة الدقيقة بينها. كما أنّ من الضروري إجراء هذا العمل بالتشاور والتنسيق مع المتخصصين في المجال، لضمان دقّة النتائج وسلامة الفهم. من أجل توضيح الموضوع بصورة أدق، نعرض صورتين لمخطوطتين تختلفان ظاهريًا إحداهما عن الأخرى:

النذير العام

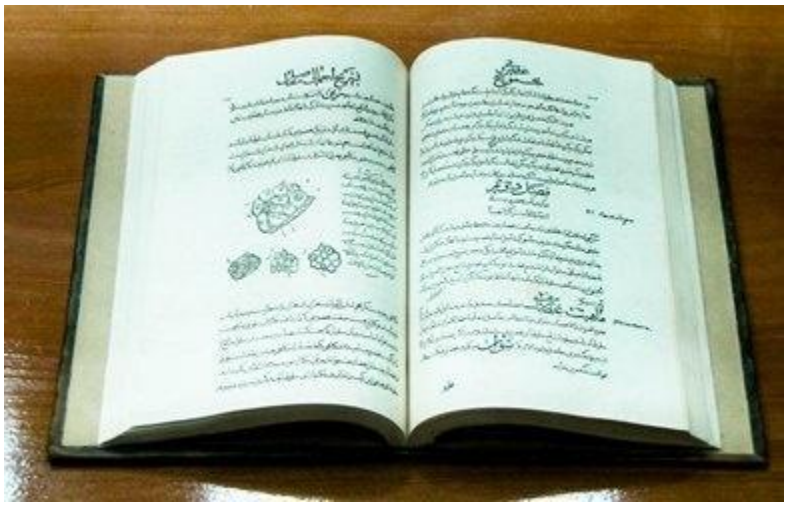

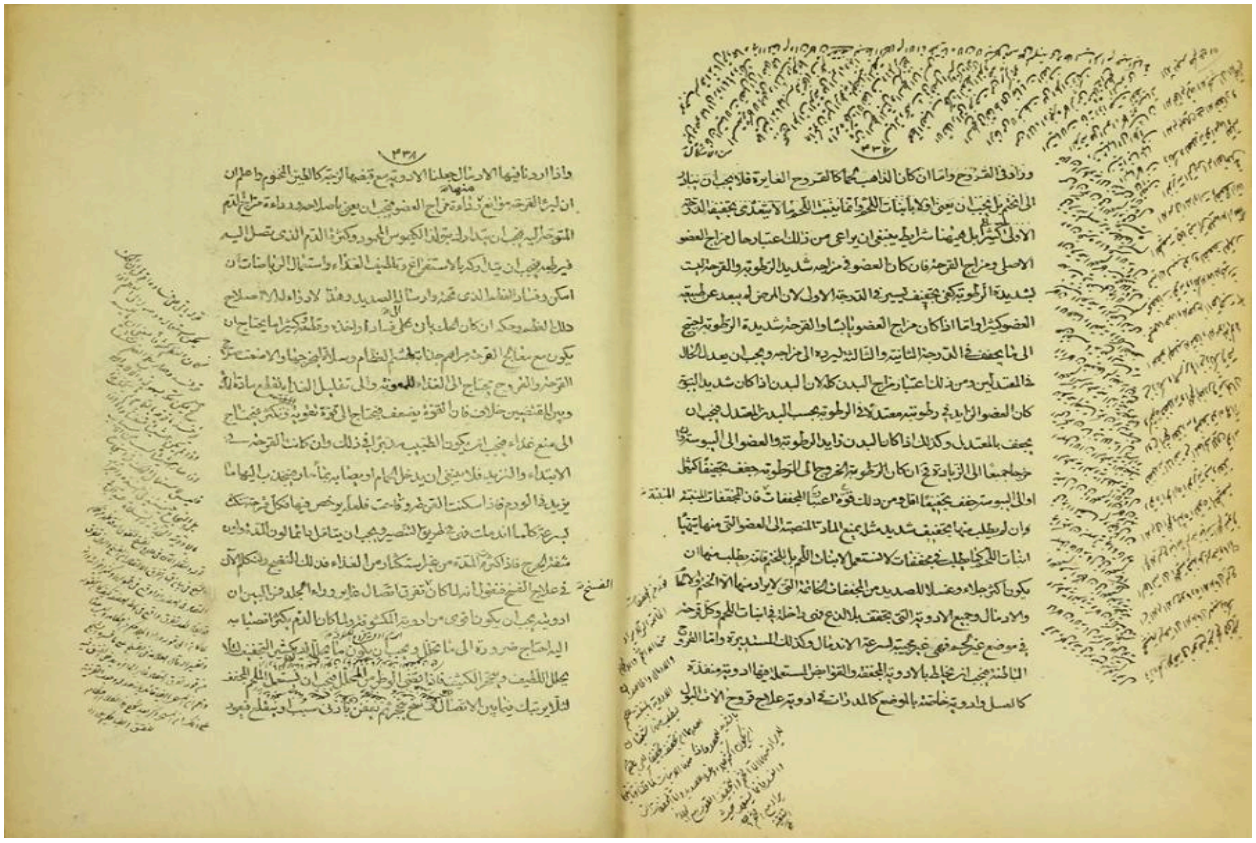

المصادر والمنابع

ابن سينا، أ. (1983م)، *كتاب القانون في الطب*، طهران، سروش

البيروني، أ. (1985م)، *الصيدنة في الطب*،مركز النشر الجامعي

ابن البيطار، ع. (1989 م). تفسير كتاب دياسقوريدس (إ. بن مراد، محقق). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي

دياسقوريدس، ب. (قرن 7 هـ). الحشائش وهو هيولي الطب)، رقم المخطوط 5079، مشهد، المكتبة المركزية للعتبة الرضوية المقدسة

الرازي، م. ب. أ. (1987). الحاوي. بيروت، لبنان

شيرازى، حافظ ،ديوان،2011،ديوان شعر، طهران،اميركبير

مولانا،جلال الدين محمد بلخى،2007،مثنوى معنوى،طهران،نشر دانش